تفريغ محاضرة

حاجتنا إلى الإحسان

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٦/٤/١٨ هـ

"حاجتنا إلى الإحسان"

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله،

أمّا بعد...

حديثنا الليلة عن معنى عظيم من معاني الإيمان، قال ابن القيّم عن هذا المعنى: "**هو لبّ الدّين وروحه وكماله**"، سأتحدّث عن هذه المرتبة من مراتب الإيمان، الّتي حكى الله عزّ وجلّ عنها، وعن شيء من صفاته التي جاءت في كتابه فقال الله عزّ وجلّ: {ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦) ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ (٧)} (السَّجدَة، ٦-٧)،

وقال الله عزّ وجلّ معرّفًا بنفسه: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } (غَافِر، ٦٤)،

وقال الله عزّ وجلّ: {ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ (٣) ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ (٤)} (المُلك، ٣-٤)،

يتحدّى الله عزّ وجلّ في الآية الكريمة فيأمره أن يرجع البصر، وأن ينظر مرّة وثانية، هل سيجد أيّ انشقاق أو فطور في السماء؟ ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك بصرك خاسئًا وهو حسير، ويقول الله عزّ وجلّ عن نفسه: {وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ} (النَّمل، ٨٨).

إذًا فالصفة التي سنتكلّم عنها اليوم، هي صفة ومرتبة الإحسان،

وقد بدأت بهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه في الآيات الكريمة، لأنّه كما يقول ابن القيّم: "**الله كريم يحبّ الكرماء، جميل يحبّ الجمال، عفوٌّ يحبّ العفو، صبور يحبّ الصابرين، شكور يحبّ الشاكرين**"

فالله عزّ وجلّ حينما يأمر عباده بأن يتّصفوا بأيّ صفة من صفات الإيمان، أو أيّ مرتبة من مراتبها، ذاك لأنّه عزّ وجلّ له صفة الكمال المطلق من أيّ صفة، فهو خلق كلّ شيء وأحسن جلّ جلاله، لذا يحبّ منّا أن نحسن، والله عزّ وجلّ رحيم يحبّ الرحماء، فالله رحيم بكمال مطلق، ونحن نتصف بتلك الصفة ونتحلّى بالرحمة الّتي أمرنا الله عزّ وجلّ بها في كتابه، قال الله لعباده: {وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} (البَقَرَة، ١٩٥)، هذا أمر مباشر لنا جميعًا، ألّا نتعبّد لله عزّ وجلّ بعبادة عاديّة، بل أن نحسن بهذه العبادة.

وسأضع لكم الآن كيف أتتنا الأوامر، لنعرف ما نفعل في عباداتنا وفي ديننا، وما هو المطلوب منّا، قال النبيّ ﷺ في حديث غريب جدًّا: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: [ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ

كُتِبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»](١).

أوّلًا الله عزّ وجلّ كتب الإحسان على كلّ شيء، ثمّ ضرب الله مثالين غريبين، هذا الدّين الّذي يأمرك بإحسان النهايات، ألا يأمرك بإحسان البدايات، وإحسان الحياة!

الّذي يأمرك بالإحسان حين تزهق روح، "فإذا ذبحتم -يعني البهائم- فأحسنوا الذبح"، فالسنة أنّك لمّا تأتي لذبح بهيمة كالشاة مثلًا، ألّا تأتي بالسكين أمامها، وهذا من آداب الذبح في الأضحية وغيرها، فإن فعلت فأنت تخيفها، ولذلك نرى المَهرة والمحترفين يجعلون السكين من وراءها، ويديرون وجهها فلا تراها، ثمّ ينحرونها، ومن الأدب أيضًا كما جاء في الحديث ألّا تذبح واحدة والبقية تصطّف أمامها، أو تُربط بجانبها، فبهذا وكأنّك تذبحها مرّتين، مرّة وهي تشاهد مَن قبلها من بهائم تذبح، صحيح أنّها لا تعرف معنى الموت ولا الحياة، ولكنها تشعر أنّ هذه هي النهاية، ليس عليه جزاء ولا فزع من الموت كما نفزع نحن، ومع ذلك أمرنا الرسول ﷺ بهذه التفاصيل، ومن الآداب أيضًا ألّا يركب البهيمة كلّ الأطفال والعائلة لأجل تثبيتها، وهذا من الإضرار بالبهيمة، وليس من السنّة، بل هي قدم واحدة توضع على صفحة العنق، ثمّ تنحر، وتجعل أرجلها حرّة حتّى تتحرّك بحريّة لتزهق الدم.

تأمّل هذا الدين الّذي أمرنا بالإحسان في الذبح، فأحسن في ذبحتك، لا لأنّها ميّتة فلن تهتمّ، بل حدّ شفرتك وسكّينك حتّى لا تموت ألف موتة وأنت تذبحها، "فإذا قتلتم أحسنوا القتلة".

في معرض آخر يقول الله عزّ وجلّ عن المظلوم:{وَمَن قُتِلَ مَظلُوما فَقَد جَعَلنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلطَٰنا فَلَا يُسرِف فِّى ٱلقَتلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورا} (الإسراء، ٣٣)، أي لو كان بين اثنين ثأر فلان قتل فلان مثلًا وجاء وقت القصاص، فيجب قتله رأسًا برأس، وطريقةً بطريقة، ولا تسرف في القتل، لا تتشفّى به، حتى يكون عبرة لمن بعده، كما كانوا في الجاهلية يقتلون قبائل بأكملها من أجل رأس واحدة،

فحينما نتحدّث عن الإحسان نرى أنّ الله أمرنا بذلك، أمرنا بالإحسان في مواطن كثيرة، كالإحسان في الأخلاق والمعاملات وهذه الكلّ يعرفها،

<u>ولكنّني اليوم سأتطرّق إلى الإحسان في أمور أخرى أشار إليها النبيّ ﷺ.</u>

يقول عاصم بن كليب: [شهدت مع أبي جنازة شهدها رسول الله ﷺ وأنا غلام أعقِل وأفهم، فانتهى بالجنازة إلى القبر ولم يمكّن لها -يعني حينما سوّوا القبر ما مكنّوا الجنازة، وما حفروا لها بطريقة جيّدة- فجعل رسول الله ﷺ يقول: <<سوّوا لحد هذا، سوّوا لحد هذا>>، حتّى ظن الناس أنّه سنّة -حتّى ظن الناس أن هناك حكم في قضيّة القبر، أو أنّه لن يحاسب، أو أنّه لن يبعث إذا لم يسوّ القبر- فقال النبيّ ﷺ: <<أما إنّ هذا لا ينفع الميّت>> -لماذا تكبّرون الأمور؟ فهذا ا يشكّل شيئًا في نهاية الميّت ولا في البرزخ، ولكنّ الله يحبّ من العامل إذا عمل عملًا أن يحسنه، حتّى لو كان يحفر قبرًا- ويقول النبيّ ﷺ: «إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»] (٢)

١[أخرجه مسلم ،صحيح]

٢[أخرجه البيهقي في شعب الايمان ،وقال الالباني: حسن]

لو لاحظنا لوجدنا أنّ الدلائل والهدي النبويّ يرشدنا إلى أن الإحسان ليس في طريقة كلامك ومعاملاتك مع الناس والإتيكيت والمجاملات فحسب، بل يأخذك إلى مرتبة أعلى من تلك بكثير، إلى درجة أن تحسن لمن هو في قبره، هذا الإحسان لن ينفع الميّت، ولن يراه أحد، هذا الميّت سيكون جيفة في يوم من الأيّام تأكله الديدان، ومع ذلك قال ﷺ "إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه" ف

المسلم مأمور بإتقان عمله والإحسان فيه، وتلك الكلمتين الإحسان والإتقان مترادفتين ومتقابلتين، وبلغتنا الحالية والمصطلحات المعاصرة يقال عنها "الجودة" وهو معنىً صغير من معاني الإحسان الّتي أُمرنا بها، سواء في تعبّدنا للآخرة، أو في أمورنا الدنيوية.

وعن الإتقان حدّثنا أبو هريرة رضي الله عنه عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: [مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ،] تخيّل أنّ هذا البناء وهذا القصر قد بني على أحسن ما يكون، الأبواب والنوافذ وكلّ شيء في مكانه، إلّا زاوية واحدة من المنزل لم يتمّ العمل فيها، لم تؤثث ولم تصبغ، فيقول النبيّ ﷺ: [.... فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ] (٣)،

أي أنّ كلّ شيء جميل إلّا هذه اللبنة في تلك الزاوية، فالنبيّ ﷺ هو الّذي أحكم هذا الدين وهو الّذي أتقنه، ولذلك كانت هذه الأمة هي خاتم الأمم، وكونك تنتمي للإسلام فأنت تنتمي للدّين الأعظم، والدّين الخاتم الّذي اصطفاه الله عزّ وجلّ ليكون ختامًا للبشريّة إلى قيام الساعة،

ولذلك فإنّ كلّ ذلك الفجور الّذي نراه في العالم اليوم، من انتكاسات للفطرة، وذهاب للإنسانيّة الّذي أدّى لهذه الحروب والمجازر، لن يُخرج نبيًّا لينقذ العالم منها كما كان في عادة الأمم السابقة، لأن هذا ختام الدنيا، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: [بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ -كهاتين بإصبعه- وكادت الساعة أن تسبقني] (٤)

معنى هذا أنّنا لو وضعنا تاريخ الأمم بأكملها من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، فسوف نجد أنّ النبيّ ﷺ في الفصل الأخير،

حتّى لو كان بيننا وبينه ألف وأربعمائة عام، لكنّه بالمقارنة مع عمر القرون الماضية هذه الألف والأربعمائة سنة لا شيء، قد يكون المتبقّي لعمر هذا الكوكب ألفي سنة مثلًا، إذًا نحن في الآخر، في آخر الدنيا، فمن سينقذ هذا العالم من هذا الفجور والشرّ والفسق، وهذه الحروب والمجازر الّتي ترتفع ليلًا نهارًا، وما نرى من أمور وانتكاسات لم تقتصر على العالمين الشرقيّ والغربيّ، بل وصلت لعالمنا العربيّ والإسلاميّ،

والّذي سينقذ العالم، هم أمّة محمّد ﷺ ولذلك عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النبيّ ﷺ، قَالَ: [لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ..] (٥)، أي ستبقى مجموعة من الناس تتمسّك بدين الله عزّ وجلّ التمسّك الصحيح، يثنون ركبهم كما تثنونها أنتم، يبحثون عن الدّين الحقّ، يستمعون إلى الآية والحديث، يحاولون الاهتداء بهدي النبيّ ﷺ، يقرؤون القرآن لا من أجل الأجور فقط، بل لأنّ الله عزّ وجلّ جعل هذا القرآن خارطة طريق تعيش بها الدنيا، وتنقذ به هذا العالم،

---

[٣] أخرجه مسلم ،صحيح

[٤] أخرجه البخاري ،صحيح

[٥] أخرجه البخاري ،صحيح

فهم يقرؤون القرآن بهذا الاهتداء وبهذه النيّة: "أن يا ربّ فقهنا بكتابك وبكلامك، علّمنا ما هو المراد منّا، وفتّح بصائرنا لما تريده منّا، ولما تستعملنا فيه".

ولذلك ما كلّ إنسان يعمل المطلوب، ولا كل من يعمل المطلوب يتمّه، وهناك بيت شعر للعرب يقولون فيه:

"وما كلّ هاوٍ للجميلِ بفاعل *** ولا كلّ فعّال له بمتمّم"

أي أنّ ما كلّ إنسان نوى فعل الخير سيفعله، ولا كلّ من عرف الإحسان والإتقان سيقوم به، قد أعرف الزين، وأعرف الاحسان، لكنّي لا أفعله، لأنّ الإحسان متعب، والجود يُفقر، والإقدام قتّال، والإقدام يعني الشجاعة.

خذ نظرة على الناس من حولك، سترى الكثير ممّن يبدأ العمل أو المشروع، ثمّ يتعب في منتصفه ويقول: "هذا يكفي تعبت، مع السلامة شكراً، أنا لا أستطيع الإكمال!" يا ابن الحلال، أنت التزمت بهذا الشيء معنا وصيغ لك، فيقول: "أنا لا أستطيع هذا الضغط، لا أستطيع تحمّله، لا أستطيع أكثر من ذلك"،

وهناك أيضًا الكثير ممّن يبدأ بختمات وأوراد قرآنيّة أو من الذكر والصلاة على النبيّ ﷺ، والهدف يكون ثلاثمائة مرّة في اليوم، وعندما يصل إلى الخمسين أو المئة يتوقف بحجّة أنّه لا يستطع، حسنًا تمّم ما تريد أن تفعله!

ولذلك في حكاية قارون عندما قال لقومه ما جاء في قوله تعالى: {وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (القصص، ٧٧)، قال بعض السلف في هذه الآية: "ما أجملها من شعار لحياة المؤمن"،

أن يكون شعارك: "وأحسن كما أحسن الله إليك"، فكما أنّ الله عزّ وجلّ أمدّك بالصحة والعافية، وأمدّك بحوّاس وجوارح، وأمدّك بالعمر، وقد تذكرون صاحبتنا في درسنا الماضي لمّا قالت: "أعطاني هذين الولدين واستمتعت فيهم ثلاثة عشر سنة "، هذا الشعور بالإحسان!

فتّش في حياتك، في قصصها عن مواطن الإحسان الّتي أحسن الله إليك فيها، في البيت الّذي ولدت فيه، وفي مقادير الحياة، وقد تكون لم تره بعد، لأنّك مصروف عن شيء، أو ممنوع من شيء، والله مثلًا لم يكتب الله أن تدخل التخصّص الّذي تريد، كنت تريده كثيرًا، ولكنّك التحقت بتخصّص آخر، تتألّم حقًّا، لكنّ الله لم يعطك ما أردت، استخرته كثيرًا، ولكنّه لم يعطك،

لم تنته حياتك بعد، أنت لا تعلم ذلك الانعطاف وأنت مكره ماذا يخبّئ، وماذا فيه، قال تعالى: {وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} (البقرة ٢١٦)، قد يكون ما ذهبت إليه بكلّ قوّتك، والله أراد أن تنعطف هذا الانعطاف الموجع، قد تكون سنة كاملة من حياتك تتعرّض فيها للبلاء، لمصيبة في زوجك وعيالك ونفسك، فانعطفت وحُبست عن كلّ شيء تحبّه، عن الحياة الّتي أحببت،

لكنّك بهذا تغيّر فيك ألف شيء، قد تكون أجمل أيّام الحياة، وأجمل ما في عمرك تلك الحبسة، كانت مؤلمة، وكنت تكرهها، وترى أنّ كلّ الحياة والسعادة بعيدة عنك، الناس كلّهم ذهبوا إليه وأنت حبيس هنا، قد يكون الله عزّ وجلّ يريدك ويريد أن يصطفيك لأمر ما، ولو لحقت بالناس ما كنت ذاك الشيء المميّز عند الله، ولذلك لا يكره الانسان ما يقدّره الله عزّ وجلّ عليه.

عند هذه النقطة يتبادر إلى أذهاننا سؤال: **ما هو الإحسان؟ وما المطلوب منّي؟**

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "الإحسان هو أداء الواجبات، وترك المحرّمات، والاجتهاد في أنواع الخير زيادة على ذلك"،

إذًا فأوّل معنىً من معاني الإحسان: أنّ الإحسان لا يكون بالزيادة فقط، لأنّ هناك من يستزيد لكن لا يترك المحرمات، ولا يفعل الواجبات،

ولذلك في حديث الولاية يقول الله تبارك وتعالى: "**وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضتُ عليْهِ**"، فالبداية تكون دائمًا بالواجبات، راجع دومًا قائمة الواجبات والأوامر لديك، وضع لكلّ ما أنجزته منها علامة، والّذي لم تفعله ضع تحته خطًّا، ولا ترضى بأن تكمل بقيّة عمرك وهذا الموضوع لا يزال لديك فيه مشكلة، ضعه تحت المجهر، كلّ رمضان، وكلّ ما بين أذان وإقامة، وجدت نفسك تردّد مع المؤذن، ادع الله بأن ينزع هذا الشيء من قلبك، بأن يقوّيك لاتخاذ الخطوة، لا تتعايش معه أبدًا، دع هذا الشيء يخطر في بالك دائمًا، دعه الهمّ الّذي يشغلك!

إذًا فالإحسان بأن تفعل الواجبات وأوامر الله عزّ وجلّ، ولو جئت لأيّ ابن أو ابنة مع والديهم، وكان عاقًّا لوالديه، لا يسمع كلامهم، ولم يذوقوا شيئًا من برّه، لسانه سليط يتكلّم ويسيء، ويذيقهم الأشرّين، ماذا لو أتى في يوم من الأيام وبيده وردة، "أمّي تفضّلي هذه الوردة" هل ستعني هذه الوردة أيّ شيء لتلك الأم؟ وهو لم يكاد يكون قد انهال عليها بكلّ ما أوتي من سوء، قد تقولون "نعم" بالفعل الأمهات قد تنهي ما كان بوردة، فهم جبلوا على الرحمة، لكن لو سئل هذا السؤال للرجال لقالوا لا، لكنّ السؤال والواضح أنّه لو جاء ابنك يتملّق لك ستمرّرها، لأجل اللحظة، لئلّا تقتل مشاعر البهجة تلك، ولكنّ داخلها جرح عميق منذ زمن، فهو يصبّحها ويمسّيها بشرّ، ودمعتها لا تجفّ، لا هو، ولا حياته، ولا أسلوبه، ولا شيء فيه أمل.

إذًا فافعل واجباتك أوّلًا، واترك المحرمات الّتي نهاك الله عنها، فلا يراك الله عزّ وجلّ حيث نهاك، والتقوى كما يقول العلماء: "ألّا يفقدك الله حيث أمرك، وألّا يراك حيث نهاك"،

وهذا معنىً جميل، جميل أن تصطحبه معك في حياتك، ألّا يراك الله في مكان لا يرضيه، فحينما يكون هناك مجلس فيه منكر، وفيه حرام، فيه شيء يدور عن الناس، فيه شيء لا يرضي الله عزّ وجلّ، فلا تكن فيه،

تتخيّل أنّ ما فوقك ليس بسقف، بل سماء فيها أهل السماء، فيها الله عزّ وجلّ وملائكته، كلّهم ينظرون إلى ذلك المجلس وما تفعل فيه الآن،

فالتقوى: "ألّا يراك الله عزّ وجلّ حيث نهاك، وألّا يفتقدك حيث أمرك". فلمّا يأمرك الله عزّ وجلّ بصلاة الفجر، ثمّ لا تكون ممّن يوقتون ساعاتهم على الصلاة، بل يضعها لتوقظه على الساعة السابعة بعد شروق الشمس، يوقتها على موعد دوامه، وعلى موعد استيقاظ أولاده، لا تهمّه صلاة الفجر، يصليها مرّة واحدة حينما يقوم، كيف؟! قد ذهب وقتها، وهو الآن مثل تارك الصلاة عمدًا، إذًا فعليك بفعل الواجبات وترك المحرّمات.

ثمّ يأتي الإحسان في الزيادة من الخير، وهنا تبدأ مرتبة الإحسان، وقيل أنّ الإحسان بكلّ بساطة هو "الإتقان"، أن تتقن عبوديّتك لله عزّ وجلّ، والإحسان أن تأتي بالمطلوب شرعًا على أكمل وجه،

وقيل أيضًا "أنّه بذل المعروف لعباد الله من قول أو فعل أو مال أو جاه"

ولاحظ كلمة بذل المعروف، معناه أنّ هناك شيء زائد، فتكون المرحلة الأولى بفعل الواجبات وترك المحرّمات، ثمّ تأتي بقدر الإحسان الّذي يريده الله عزّ وجلّ منك، بأن تبذل المعروف وأن تزيد منه،

وحقيقة الإحسان معروفة: "**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**" ما الّذي يجعل الشخص يُحسن في قبر وهو لن يراه حينها أحد؟

حتّى أنّ الميت لا يستطيع أن يتكلّم، بل قد لا يشعر به أحد لولا أنّه يعلم أنّ الله يراه،

ما الّذي يجعل موظّفًا في مكتبه بدل أن يفتح نظام عمله ويُنهي ما عليه، أن يفتح مسلسل ويتابعه وهو يعلم أنه مسؤول عن هذا الوقت لولا أنّه يعلم أنّ الله يراه؟

وما الّذي يجعل إنسانًا بين يديه الملايين يعلم أنّ صاحبها لا يدري عنها، يستطيع أن يأخذها لولا أنّه يعلم أنّ الله يراه؟

إذًا فالإحسان ألّا تتعامل مع الخلق ومع نظر الخلق، حينما تأتي بذنب أو معصية، لا تقوم بالتأكّد بأنّ الباب ليس وراءه أحد، أو أنّ الجميع خلد إلى النوم، أمي وأبي، الوضع هادئ، وتبدأ في التقليب بين المحرّمات.

الإحسان: أن تعبد الله كأنّك تراه، كأنّ الله حاضر أمامك، فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك.

ولذلك هناك أنواع كثيرة للإحسان، إحسان بينك وبين الله، بين العبد وبين ربّه، وإحسان بين العبد وبين بقيّة المخلوقات،

<u>فأمّا الإحسان في العلاقة مع الله عزّ وجلّ فهي ما قلنا عنه: أن تعبد الله كأنّك تراه.</u>

الآن لو اتّفقنا على أن نخرج من هذا اللقاء بشيء، بأن نحسن في علاقتنا مع ربّنا، انظر إلى السبعة الّذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظله، رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنّي أخاف الله، ورجل تصدّق بيمينه حتّى لا تعرف شماله، والملك العادل، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، وشابّ نشأ في طاعة الله، ورجل بكى من خشية الله، هؤلاء السبعة كلّهم فعلوا ما فعلوا ولم تكن أنظار الناس عليهم، كانت العلاقة بينهم وبين الله عزّ وجلّ "هل يا ربي أنت راض؟"

يوسف لمّا دعته المرأة قال: "كلّا إنّ ربّي أحسن مثواي" فلا يمكن أن أعصي الله عزّ وجلّ حين أحسن بي من خروجي من الجبّ، وأحسن بي حين أسكنني القصر، فكيف أعصي الله عزّ وجلّ في النهاية بهذا الذنب؟

فالقضيّة أن تحسن في عبادتك، ما الّذي يجعلك وأنت في العشرينيات أو الثلاثينات من العمر، في ريعان الشباب، كلّ من حولك في صخبه لاهٍ في الشهرة وبناء المستقبل، وأنت اخترت تلك الاختيارات، أن تتصدّق بيمينك فلا تعرف شمالك،

أو أن تنشأ في طاعة الله، قد تكون هذه الاختيارات حرزًا لك عن شيء من حطام الدنيا الّذي يتقاتل عليه أولئك، اختياراتك الّتي اخترتها في سنّ الشباب لن ينساها الله لك، حتّى لو لم تمت إلّا بعد عمر، لكن يكفي أنّك اخترت الله في عمر الصبا، ولم تنتظر حتّى المشيب، لم تنتظر المرض أو موت عزيز لتتعلّم أنّ الدنيا لا تدوم لأحد، وأنّ الصحة فانية، لم تنتظر ذلك الدرس الّذي يعلّمك، بل تعلّمت من دروس الحياة، ممّن سبقوك، وممّن فقدتهم من الأحبّة، ومن كلام الكبار،

تعلّمت أنّ الله باقٍ وكلّ شيء زائل، ومن ثم فلماذا تشتّت نفسك وتتعبها بأمور كثيرة، لم لا تتوجّه إلى الوجهة الصحيحة، تعرف ماذا يريد منك ربّك فتحسن في عبادتك له،

ولو عدنا وقلنا بم سنخرج من هذه اللقاء؟ بشيء واحد، وهو من أهمّ المفاهيم الّتي قد تتعلمها، **أن تحسن العلاقة بينك وبين الله**، أن تجوّد العلاقة بينك وبينه عزّ وجلّ، في فرائضك، وفي ترك المحرّمات، وفي فعل الواجبات.

الأمر الثاني، أن تحسن مع الناس،

وما سأعدّده الآن كلها أمور نابعة من إحساننا مع الله، لكن تم تفصيلها لتكون أوضح وأسهل.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى] (٦)

لو ضرب عليك عرق في رأسك، شقيقة أو صداع أو أيًّا كان، تدمّر جدول يومك كلّه، لو آلمك سنّك، أو عرق النسا مثلًا، لو نمّلت يدك، لو حاشك أيّ شيء يقعدك عن ممارسة حياتك الطبيعية، هناك ما يؤلمك طوال الوقت، ويؤثر على باقي عضلات وجهك أو جسمك، فلا تستطيع معاملة أحد، "أعتذر سنّي يؤلمني، أعتذر أصبت بالصداع، أعتذر لا أستطيع التفاعل معك اليوم"، حينما ترمش وتؤلمك عينك لأنّ تلك الرمشة لم تكن بالترتيب الّذي اعتدت عليه،

جزء من إحساننا مع بعضنا البعض، شعورنا بالتوادّ والتراحم والتعاطف بين الشعوب المسلمة، ليست كلّ شعوب العالم بمن فيهم الكفّار، لا بل المسلمين الّذين يربطنا بهم دين، فأنت حينما توادّهم وترحمهم وتعطف وتتداعى لهم، هناك من لم ينم لثلاثة أيّام، لم تغمض له عين لهول ما رأى من مناظر وما سمع من أخبار أخوته في البلاد الأخرى، ذلك الشعور يؤجر عليه، وهذا جزء من الإحسان.

اعلم أنّك لا تعيش في هذا العالم لوحدك، نحن المسلمون منكفئين على بعضنا، نحن عظماء بعظمة تاريخنا الممتدّ من عهد آدم وإبراهيم ونوح وإسماعيل، نحن نوقّر كلّ الأنبياء، نوقّر عيسى ما لا يوقّره النصارى الّذين غلوا فيه وتطرّفوا، نحن نقول هو عبد الله ورسوله، وهذا أعظم مقام يقومه عيسى،

وفي قضيّة توادّ الناس وتراحمهم فيما بينهم، فإنّ الناس اليوم قد أخذتهم المادية إلى درجة تنعدم فيها الرحمة، لا يرحم أحد أحدًا، كمؤشرات الأداء الّتي جعلتنا حبيسين قوانين مؤطره، ووقت بالكاد يكفي للعمل،

نادرًا ما أصبح أحدنا يجد وقتًا من أجل تطييب خاطر أحدهم، أو أن يفزع لأحد، أو أن يفرّج كربة أحد، أو أن يتناول فنجان قهوة مع أحد، ليس لتضييع الوقت بل حتّى يأخذ بخاطره، ويراعي حزنه وهمه، وهذا إن احتسب عمله فهو من الإحسان.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، [أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عزّ وجلّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عزّ وجلّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عزّ وجلّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»] (٧)

كلّ تلك الأعمال المذكورة في الحديث ذات نفع متعدّد، والّتي يدخل فيها الإحسان، الإحسان بسرور تدخله على مسلم، متى أدخلت سرورًا على إنسان؟

٦[أخرجه مسلم ،صحيح]

٧[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، وقال الالباني: حسن لغيره]

رفعت سمّاعة الهاتف وأسعدته بخبر تعرف مسبقًا أنّه سيسعد به، أو أن تفاجأه بزيارة دون ميعاد تعلم أنّه سيسرّ بها وأنّه مشتاق لرؤيتك ومحتاج لهذا، أمّك، أبوك، جدّك، جدّتك، أيّ أحد من أقربائك أو أصحابك أو إخوانك في الله، فهذا السرور الّذي أدخلته على قلبه من أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، غير الأمور الأخرى بأن تطرد جوعًا، أو تقضي دينًا أو تكشف كربة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...] (٨)

هذا النفع المتعدّي سطّر فيه الأنبياء أعظم القصص، فهذا موسى عليه السلام يخرج من مصر طريدًا مهاجرًا غريبًا، خرج ولم يكن معه شيء، لا زاد ولا ملبس، حافٍ يركض، لأنّ الملأ يأتمرون به ليقتلوه،

فخرج في طريق طويل حتّى وصل إلى المدينة، فما إن همّ بالاستراحة حتّى وجد الرعاة والرجال مجتمعين على بئر، ووجد امرأتين تذودان بالخلف مع غنمهما، ويرقبون من بعيد وكأنّهن يردن السقاية ثمّ يتراجعن، فلمّا رأى موسى هذا المشهد، ومن اعتاد على الإحسان ما يحصل له تعب، قال لهما: "ما خطبكما؟" أي لماذا تقفان هكذا؟ لماذا لا تذهبان مع الرعاة؟ قالتا: "لا نسقي حتّى يصدر الرعاة"، أي ننتظر ذهابهم لا نزاحم هؤلاء، وأبونا شيخ كبير لذلك نسقي بأنفسنا، فسقى لهم موسى صاحب الفتوّة والقوّة، ثمّ تولّى.

ويتجلّى الإحسان أيضًا في يوسف عليه السلام حينما دخل السجن مع المجرمين وأصحاب الجنايات والسوابق، طلبوا منه أن يفسّر رؤياهم لأنّهم رأوه من المحسنين، تأمّل الّذي رأوه من يوسف وهم بين أربعة جدران، ماذا رأوا من إحسانه؟

فقال العلماء في تفسير هذه الآية: "أنّه لم يكن هناك مريض إلّا قام عليه يوسف عليه السلام، ولم يكن منهم محزون إلّا قام معه ليسري عنه" كلّهم سجناء، وكلّ لديه همّ يكفيه، لكنّ الناس معادن، هناك من حتّى لو سجنته وكان في أضيق الأمكنة، وحبست عنه المال والأبّهة والجاه، كان معدنهم ثمين، فالنّاس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، جبلوا على الإحسان.

وفي لحظة أخرى، وموقف آخر حينما صار يوسف وزيرًا، وفي أعلى مناصب الدولة، على رأس الهرم، حينما دخل عليه أخوته وهو يقسّم أرزاق الناس، قالوا" :إنّا نراك من المحسنين"،

قال العلماء أنّ الإحسان بقي مع يوسف عليه السلام وهو فقير سجين، في لحظات ضعفه، وهو وزير أيضًا، وعلى رأس الهرم، لم يطغى، ولم يتشفّى، ولم ينتقم، مع أنّهم سكبوا على الجرح ملحًا ولم يندمل بعد،

قالوا عنه: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"، أي حتّى لو أراد أن يعفو عنهم لتراجع، ولكنّه محسن، قال تعالى: {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ} (يوسف، ٧٧)، أسرّها أي أنّها آلمته وأوجعته، بعدما قلتم إنّا نراك من الحسنين تطلبون الرّفق، فقال: {قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ} (يوسف، ٧٧).

والنبيّ ﷺ وهو سيّد المحسنين وإمامهم، كان يهيّئه الله عزّ وجلّ لهذا الإحسان في مرتبة النبوّة، فلما نزل عليه الملك في غار حراء، وجاء إلى خديجة فزعًا خائفًا فقال: [«يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي» وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى

---

٨ [أخرجه مسلم ،صحيح]

نَفْسِي» -يا خديجة أخشى أنّ عقلي أصابه شيء، أنا لا أدري ما رأيت- فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ..."] (٩)

تكلّمنا عن الإحسان مع الله عزّ وجلّ، والإحسان مع الناس،

ونأتي الآن للإحسان في العبادات،

وهي كما في الإحسان من الناس مشتقّة من الإحسان في علاقتك مع الله عزّ وجلّ.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ ...] (١٠)، وفي رواية أخرى أطول، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: [إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ] (١١).

فانظر لتلك المرحلة من العبادة، مرحلة الوضوء الّتي تسبق الصلاة، كلّها تكفير للذنوب لمن أحسن وضوءه، فحينما تأتي الوضوء للصلاة، لا تأتيه على أنّه وسيلة للصلاة، بل أنّه وحده عبادة تؤجر عليها، وهي تكفير للخطايا بذاتها، ولذلك لو كان يعتريك ضيق، وتشعر بأنّك مقصّر توضّأ، سواء صلّيت بعدها ركعتي الوضوء أم لا، لكنّ الوضوء عبادة، وأمّا في الصلاة فالأمر بالصلاة جاء بالقرآن على صيغة "وأقيموا الصلاة"، وكلمة "أقيموا" وكأنّك حينما تريد أن تقيم عامودًا على الأرض، فلو كان مائلًا لم يكن مقامًا، بل يجب أن تغرزه غرزة صحيحة قويّة وثابتة،

فإقامتك للصلاة تكون بأدائها على الوجه المطلوب الّذي يريده الله عزّ وجلّ،

يقول المطرف بن عبد الله: "شهدت جنازة -أي صلاة على الجنازة- واعتزلت ناحية قريبة، فصلّيت ركعتين -أي صلّى بعدما رفعوا الجنازة ركعتي نافلة- كأنّي خفّفتهما، فلم أرضَ إتقانهما ونعست -أي خفّف من إتقان صلاته وتثائب- فرأيت صاحب القبر -أي من صلّوا عليه منذ قليل- كأنّه يكلّمني فقال: "ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما؟" قلت: نعم قد كان، قال: "تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نستطيع أن نعمل، لأن أكون ركعة مثل ركعتيك، أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها" أي أن تلك الركعتين الّتي أسرع بها وخفّفها، والّتي ظنّ أنّه قصّر بها أو لم يخشع بها، تنفعه عند الله عزّ وجلّ حين يكون مكان من في القبر،

عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: ["مَنْ صاحِبُ هذا القبرِ؟" فَقَالوا: فُلانٌ، فقال: "رَكْعَتَانِ أحبُّ إلى هذا من بَقِيَّةِ دُنْياكُمْ"] (١٢)،

٩[أخرجه البخاري ،صحيح]

١٠[أخرجه مسلم ،صحيح]

١١ (١١) [أخرجه مسلم ،صحيح]

١٢] أخرجه ابن المبارك في الزهد ،وقال الالباني: حسن صحيح

تعملون ولا تعملون، نحن لا نستطيع سؤال من في القبور عن حالهم وما حدث ويحدث معهم، لكن نحن لدينا هدي لم يتركنا حيارى، لا نعلم ما سيحدث، بل أخبرنا بأحاديث صحيحة عما سيحصل في عالم البرزخ والأسئلة التي سنسأل عنها حينما يبدأ الحساب، فعلى الإنسان أن يستعد لتلك اللحظة، فتلك الركعتين الخفيفتين الّتي تصلّيهما أحبّ إليهم من الدنيا وما فيها.

وفي حديث آخر عن الإحسان في العبادات: عن جابر بن عبد الله، يقول النبيّ ﷺ: [إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ] (١٣)، وقال عن القبر: عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [احْفِرُوا، وَأَوْسِعُوا، وَأَحْسِنُوا] (١٤)

لاحظ كلمة الإحسان في الحديثين، ولذلك من يغسّل الميّت ويكفّنه يلبس من السندس الأخضر، وهي كسوة من أكسية الجنّة، وهذا جزاء مخصوص له لأنّه ستر عليه، وذلك يعلّمنا أنّ هناك من الأمور والأعمال البسيطة الّتي لها أجور عظيمة عند الله عزّ وجلّ، إذا قام بها الإنسان على أكمل وجه.

ولا يمكن الحديث عن الإحسان دون أن نتطرّق إلى الإحسان للوالدين، وأكتفي بهذا الحديث حينما سأل عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ: [أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا» قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»] (١٥)

هل رأيت الجهاد، حينما يقاتل ويحارب الناس، فإن برّك بأمّك وأبيك أعظم من هذا الجهاد، فالترتيب يكون الإيمان أوّلًا، بألّا تشرك مع الله شيئًا، ثمّ برّ الوالدين، ثمّ الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (النساء، ٣٦)

أنت الآن حينما تكون بحاجة لوالديك، وهم من يقوم على شأنك وأمرك، فمن السهل البرّ والإحسان إليهما، ولكن كلّما بدأت بالاستقلال عنهم ببيت لوحدك، بعد زواجك واهتمامك بأبنائك، بعائلتك، بحياتك الخاصة، يصبح الأمر أصعب، ويبدأ الإنسان بالشعور بأنّ زيارة والديه أصبحت عبئًا والتكفّل بهما عبئ، فمن كان بجانب أبيه أو أمّه فيجب عليه رعايتهما، ومن لم يحتسب هذا البرّ ويقول "ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا" ضاق من هذا البرّ، فكان أعظم أنواع الإحسان، الإحسان لوالديك.

ومن أنواع الإحسان العظيم أيضاً **الإحسان بين الزوجين:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: [....، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا] (١٦)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: [خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي] (١٧)، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ:

---

[١٣] [أخرجه مسلم ،صحيح]

[١٤] [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الالباني : صحيح]

[١٥] [أخرجه مسلم ،صحيح]

[١٦] [أخرجه مسلم ،صحيح]

[١٧] [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الالباني : صحيح]

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: [كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، ...، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ...] (١٨)

إذًا لكلّ واحد منهما حقوق وواجبات، فالأمر ليس حربًا، ومن أسوأ الأمور القائمة ما نشاهده في الحياة والعلاقات الزوجيّة، بأن يصبح الموضوع النذر على تعويد الزوج أنّ المرأة تخرج حينما تريد، وأنّ لها وقت خاص بعيد عنه، وأنّها لن تغسل ملابسه، ولن تفعل كذا وكذا، يقوم على أمور نفسه بنفسه، وأنّه ليس صغيرًا،

عندما نتكلّم عن الزواج، وأنّه علاقة تشاركيّة بينك وبينه، فالزوج له حقوق وعليه واجبات، والزوجة كذلك، فإن قصّر هو بالنفقة أو بإدارة البيت، ثمّ ما تنفك الزوجة بتذكيره بهذا التقصير طوال الوقت،

وهناك من الزوجات من تطلب زوجها فوق طاقته، وقد يكون مرتّبها أعلى من مرتّبه بكثير، ولا يملك شرعًا أن يأخذ من مالها، وهي ليست مكلّفة بالإنفاق، ولكن ما ضرّ لو أعطته من مالها، فهو يعتبر من الصدقة، كالّتي يكون زوجها فقيرًا، ومن تسدّد دين زوجها، كلّها تدخل في الصدقة، ولكن ليست مطالبة،

ولسنا كالعجم الّذين يتقاسمون فاتورة العشاء والغداء، فالقضية هنا أنّ العلاقة مبنيّة على الودّ والألفة والرحمة بينهما،

ولذلك من أصعب المراحل على الزوجين، حينما يحدث الطلاق، قال الله عزّ وجلّ: {وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} (البقرة، ٢٣٧)، أي لا تنسوا المعروف، ولا تنسوا العشرة، وما بينكم من أطفال وأيّام بحلوها ومرّها،

أمرنا بألّا نفجر بالخصومة، بألّا يفضح أحدنا الآخر، وكنا نرى هذا في أهالينا، ما كنّا نسمع غير "أبو فلان لم أرى منه سوى الخير" وهو ما يقول إلّا "ما أعرف منكم إلّا كلّ خير، أحسن طبخ، وأحسن، وأحسن" كان هناك نوع من الودّ المحفوظ بين الاثنين، لم تكن هذه الحروب موجودة، لذلك قيل: "من قلّ خيره على أهله، فلا ترج خيره" أي من لم يكن فيه خير لأهله زوجته وأولاده وأمّه قبل ذلك، ولذلك حينما يتقدّم الخطّاب لبناتنا، نسأل أوّل ما نسأل عن برّه بأمّه وأخواته، لأنّه من لم يكن فيه خير لأهله، ليس هناك خير يرجى منه.

وهناك الإحسان للأرحام أيضًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: [يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»] (١٩)

أي معك جيش ومدد من السماء، من الملائكة، معك ظهير ونصير ما دمت على ذلك، فلا تردّ الإساءة بالإساءة، بل قابلها بالإحسان، ما الذي يجعلنا نفعل هذا؟ نحن لا نقابل الإساءة بالإساءة لأنّنا نعبد الله كأنّنا نراه، وليس لأجل خاطر أحد، بل لله عزّ وجلّ، لأنّ الله وصّانا وأمرنا بهذه الرحم.

وأيضًا من الإحسان، الإحسان لليتامى والمساكين، قال الله عزّ وجلّ: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ} (النساء، ٣٦)،

تأمّل هذه الآية! حينما قرأتها تذكّرت مجموعة قابلتها في الأسبوع الماضي، رسالتهم في الحياة الإحسان لليتامى، لديهم مجموعة القائم عليها لها علاقات بدور الأيتام، ولها أيضًا علاقات شخصيّة، فهي أصلًا محتضنة لبعض الأيتام،

---

[١٨] [أخرجه البخاري ،صحيح]

[١٩] [أخرجه مسلم ،صحيح]

وكلّ واحدة تنضمّ لتلك المجموعة تحتضن يتيمًا من هؤلاء، إمّا أن تأخذه في بيتها، أو تتكفّل برعايته لدى أناس آخرين، فهم يهتمّون بقدر ما أمكنهم بمجموعة الأيتام الموجودين في المنطقة،

والإحسان في عملهم الّذي قد يفعله الكثير، فهذا اليتيم يتولّون أمره منذ طفولته إلى أن يكبر، ويقومون به حتى زواجه، وكأنّه واحد منهم، فيقيمون له عرسه وكأنّهم أخوته، ويقفون بجانبه، ولا يجعلون هذا لأهل الدار والعاملين به، بل يقفون على ذلك شخصيًّا، وكأنّهم أفراد من العائلة،

تلك القائمة على المجموعة وصل إحسانها إلى حدّ أنّها جعلت من منزل استأجرته خصّيصًا ليكون هناك اجتماع للأيتام المتزوّجين وعوائلهم، فيكون لهم اجتماع يروّحون به عن أنفسهم في نهاية الأسبوع،

هل فكرت لمرة أين يذهبون؟ وإلى من يلجئون؟ ومن يشعرهم بشعور العائلة؟ نحن نحسب أن اليتيم واليتيمة إذا تزوّجا انتهى الأمر، ولكن هما بحاجة إلى حياة ومجتمع وأصدقاء، إلى سند وأناس ينتمون لهم، فهي لديها بيت مؤجّر، تعقد فيه اجتماعات دوريّة سواء كان بحضورها الشخصيّ أو بأفراد مجموعتها،

وهي تحدثنا عن هذا الموضوع وكأنّه أمر عاديّ، وأنا أقول أنّه ليس بعاديّ، هذه مهمّة العمر، جداول ومواعيد بالأعياد والمناسبات، ينتهون من أعياد أهلهم الحقيقيّين، ليقوموا بأعياد أولئك اليتامى، فكنت أقول متسائلة: كيف تحضرونهم وهنّ صغيرات؟ قالوا بل نجمع من تزوّجن مع أولادهم ونقيم يومًا ترفيهيًّا كاملًا كما نفعل نحن مع أهالينا.

حتّى في رمضان، وحينما تلد إحدى اليتيمات، يتناوبن على زيارتها، وعلى جلب الطعام لها من غداء وعشاء وقهوة وشاي، تخيّل هذا الإحسان!

ولو لم يفعلوا سوا هذا الإحسان لليتامى لكفاهم، فالرسول ﷺ وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة، فيكفي الإنسان أن يكون في هذا الباب من أبواب الخير.

وهناك الإحسان للأجير والخادم، قال النبيّ ﷺ: [إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُم] ([٢٠])

وهنا مثال قريب منّي، والأكيد أنّ لديكم أمثلة كثيرة مشابهة، إحدى القريبات وكلنا لديها ما لديها من مواعين وأدوات زائدة عن حاجتنا، من أكواب تكسّرت مثيلاتها ولم يبق سوا واحد أو اثنين، فما نفعله نحن أن نعطيه لأيّ محتاج بحقيبة أو صندوق، ولكنها تفعل ما هو أحسن من ذلك، فتضع في الكوب مغلّفات القهوة والشاي والبسكوت وغيرها، وتربطه بشريط وتغليف مرتّب، وكلّما أتاها عامل للصيانة أو خادمة أو كوافيرة تقدّمها كهديّة، هل هناك من فكّر بهذا الإحسان؟ ومثلها طبقًا من فكّرت بأنها حينما تعطي حافظات الشاي والقهوة للعمالة، لا تعطيهم إيّاها فارغة، بل تملؤها بالمشروبات من شاي وقهوة وكرك وغيرها، مع الأكواب، وهذه هي الزيادة في الخير والإحسان الّذي نتكلّم عنه، بدل أن تقدّم الصدقة بظرف، أحسن بعطيّتك.

وهناك الإحسان للمسيء، وقد عرّجنا عليه آنفًا، وذكر الهروي في "منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" منزلة اسمها منزلة الفتوّة، وقال إنّها على ثلاث درجات، واحفظوها جيّدًا، ولا أقولها حتّى يتنازل المرء عن حقّه، ويستسلم

[٢٠] [أخرجه البخاري ،صحيح]

للمسيء، لكنّها من الإحسان، بأن يترفّع الإنسان عن الإساءة، كالزجاج الّذي ترميه بشيء فيرتدّ، فكلّما أحسنت ترفّعت، وكلّما كنت أفضل ارتدّت عليه إساءته.

أولى درجات هذه المنزلة ترك الخصومة، والثانية التغافل عن الزلّة، والثالثة نسيان الأذيّة،

وكنّا نتدارس أنا وواحدة من أخواتي هذا الكتاب، فكانت تقول: "كلّها مقدور عليه إلّا التغافل وكأنّك لم تر شيئًا، قد تترك الخصومة، ولكن كيف نستطيع النسيان؟ كيف ننسى من أحدث بنا الأذى؟ من جرحنا؟ قد أعفو وأسلّم، ولكن لن أنسى".

نسيان الأذية جُعلت من منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، وهذا الكتاب اسمه "مدراج"، أي تتدرّج بالرقي إلى أن تصل إلى هذه المنزلة، حينها تصبح الأذيّة ليست بتلك الأهميّة، لن تنزل من مقدارك، ولن تهزّك، ولذلك تنسى الأذى.

عندما أرهب فرعون السحرة بأقسى أنواع الرعب والإرهاب، من تقطيع الأيدي والأرجل والصلب على جذوع النخل، قالوا: "اقض ما أنت قاض"، فنسوا الأذيّة ووضعوها في مقياسها الصحيح، حينما تقعد وتجادل وتخاصم، وهناك من لا يزال يعيش في بيت شعر عنترة ابن شدادا حينما قال:

"إلا لا يجهلنّ أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلين"،

فيأتي من يرمي كلامًا ثمّ يقول لك "يا ابن الحلال دعنا من شرّهم، ولا ترد عليهم"، فيسعد لذلك لأنّ الناس تخاف منه، وهذه مرتبة دنيّة، أن يتّقيك الناس مخافة الشرّ منك، وعسى أن يسلموا من سلطة لسانك،

هذه المرتبة العليّة من الإحسان للمسيء بأن تترك الخصومة وتتغافل عن الزلّة، فحينما تأتي إحداهنّ وترمي على أخرى بوابل من الكلمات التي تكسر النفس، وتهدّ الشخصية، تراها مرتدية فستان فتعيبه، فليس عليها سوى أن تردّ بردّ مقتضب بأنّه يعجبها، لا داعي للقيل والقال، "وهل سمعتي ما قالت"، "وكلّما رأتني حدّثتني بالسمّ"، لذلك علينا التغافل عن الزلّات، ونسيان الأذيّة، وألّا تأخذ تلك الأمور حيّزًا أكبر ممّا ينبغي من حياتك، تذهب للنوم فيأتيك الشيطان ويذكّرك بوجه المسيء وكلماته، فتمسي متوتّرًا، وهذا كلّه من عمل الشيطان.

والإحسان يكون أيضًا في الكلام، وفي إطعام الطعام، يقول الرازي: "أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام"، وذلك لأنّ قوام الأبدان بالطعام، ولا حياة إلّا به.

في الجنّة هناك غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وقد يخطر على بالك عند سماعك لهذا أنّها من زجاج، لكنّها ليست كذلك، وتلك المنازل العليّة في الجنّة لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، عن عبد الله بن سلام، عن الرسول ﷺ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ] (٢١)، فانظر وتأمّل كم أنّ الطريق سهل لمن يريد الوصول.

ومن أنواع الإحسان، الإحسان للموتى، ما أخبار موتاكم، عمّتك وخالتك وخالك وجدّك وجدّتك وأمّك وأبوك، أو أيّ أحد من العائلة من الّذين ماتوا،

[٢١] أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح

قد يتحمّس الإنسان في البدايات، فيبني لهم مسجدًا، ويحفر لهم بئرًا، فيشعر بأنّه أدّى ما عليه، لكن هناك من لا ينسى في كلّ جمعة، يذكر موتاهم بالصدقات، وكل حجّ يتذكرهم ويحجّ عنهم،

واحدة من المعارف تحكي لي قصة طريفة حصلت لهم، الشاهد منها أنّها حججت إحدى عشر شخصًا عن أحد عشر شخص من موتاهم، أبوها وأعمامها وزوجات أعمامها، وواحد من أولئك الأعمام لديه أربع زوجات، حجّوا عنهن جميعًا، كنت أقول ما شاء الله تبارك الله هذه تكلفة كبيرة، حتّى لو أنّ القصّة كانت قديمة، ما تزال تكلفة الحجّ عالية، حيث لا تقل عن خمسة أو سبعة آلاف عن الشخص الواحد، ولكنّها حجّجت عن أحد عشر شخصًا، كان يمكنها الاكتفاء بأمّها وأبيها مثلًا،

وهناك من يحجّ عن عاملته الّتي ماتت، أو سائقهم الّذي رحل بعد خدمتهم لاثنتي عشرة سنة، فيعتمرون ويتصدّقون ويحجّون عنهم، وهذا من الإحسان وحفظ المعروف.

فماذا لي لو كنت من هؤلاء المحسنين؟ وما فائدة الإحسان؟

- المحسن أوّل من يبشّر برحمة الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف، ٥٦)، فكلّما أحسنت في عبادتك، وفي مشيك إلى الله عزّ وجلّ، وفي قراراتك، وسرعتك، وعدم تردّدك، وعدم خوفك من نظرة الناس، وعلاقاتك معهم أنّك على الشيء الصحيح، أنك أحسن في دينك، كانت رحمة الله قريبة منك.

- والله يقول أيضًا: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران، ١٣٤)، فهي رحمة ومحبّة من الله عزّ وجلّ للمحسنين، وهذه مرتبة أعلى، أن الله يحبّك فإذا ما أردت الوصول لمحبّة الله، فإنّ إحدى الطرق أن تحسن، سواء لمن كانوا تحت يدك، أو صلاتك، أو عباداتك، أو معاملاتك مع الناس، بصدقك، وكلامك الطيب، وردود أفعالك حتّى مع من أساء إليك، سواء كان في دائرتك المحيطة بك، أم كان بعيدًا لا تعرفه، فأنت تمشي طوال الوقت وكأنّ الله يراك، قال ﷺ: [أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ] (٢٢)، فحينما تهمّ بعمل ما تسأل نفسك: هل من الطبيعي أن يراني الله هكذا؟ هل يرضه منّي أم لا؟ إذا كان لم يرضه فتوقف.

- والأمر الثالث أن يفتح الله قلبك لنور العلم والهدى والفقه، تلك الحيرة التي تعتريك حينما تريد اتخّاذ قرار ما، لا تعرف أين الحكمة، وأين مصلحتك، فيفتح الله نور العلم والفقه لديك، قال الله عزّ وجلّ عن نبيّيه: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} (يوسف، ٢٢)، أعطاه الله عزّ وجلّ الحكمة والعلم، وقال الله عزّ وجلّ: {وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف، ٢٢)،

فهذا المحسن لا يتركه الله تائهًا حائرًا، كلّما رآك الله عزّ وجلّ تتلمّس رضاه يوم بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع، تحاول أن تكون أفضل وأحسن، فالله لن يضيع لك هذه الخطوات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً] (٢٣)،

٢٢[أخرجه البخاري ،صحيح]،

٢٣[أخرجه مسلم ،صحيح]

تقدّم شبرًا فقط وانظر للفتوحات من الله عزّ وجلّ تتنزل عليك، وهذا من أهمّ الأشياء، أن الله يفتح عليك بالعلم والفقه، وكأنّك تُهدى إلى القرار الصحيح وإلى العلم الصحيح.

- والإحسان سبب في إحسان الله إليك، يقول الله عزّ وجلّ: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (الرحمن، ٦٠)، أجل هؤلاء المحسنون حينما يبعثون يوم القيامة ويدخلون الجنة لا يستوون عند الله عزّ وجلّ مع من كانوا في الدنيا يعيشون على تمشية الحال والأمور،

فلو أحسنت يومًا ما ولم يقدّر أحد هذا الإحسان، سواء في مشروع وظيفيّ أكملته على أحسن وجه ولم يعجب مديرك، أو لم يعرض ولم يلقَ له بال، المهمّ وقعه عند الله عزّ وجلّ، والمهمّ النيّة، ما هي نيّتك عند عمل العمل؟ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ} (٢٤)، فما عليك أنت إلّا أن تتقن العمل على أكمل وجه، وعلى الوسع الذي تستطيعه، سواء أعجب أم لم يعجب به أحد، هؤلاء يقول الله عزّ وجلّ عنهم: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ} (الرحمن، ٦٠).

- ويقول الله عزّ وجلّ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} (يونس، ٢٦)، والحسنى أي الجنّة، قالوا "وزيادة" هي النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ، لكنّ الأعظم من هذا كلّه، هي الفكرة أنّ للّذين أحسنوا الحسنى، لهم الجنّة وزيادة على ذلك،

ويقول الله عزّ وجلّ: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} (الإسراء، ٧)، قد يقول قائل "أنّه ليس له علاقة بهذا الكلام، وما شأنه بالإحسان، دعه يبلغ الإسلام أوّلًا، دعني أضبط صلاتي، أو دعني أفعل كذا وكذا"، يقول الله عزّ وجلّ: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ}، لأنّك أنت الّذي ستنعّم بهذا الإحسان، ويوم القيامة قد يأتي أحد أبويك بمرتبة أنزل منك في الجنّة، أنت لك القصور من الفردوس ومراتب عالية لأنّك كنت محسنًا، تحسن في كلّ شيء، كان الناس لا يتخيّلون هذا الكمّ الهائل من الإحسان لديك.

- والإحسان يكون أيضًا سببًا في صلاح الذريّة، قال الله عزّ وجلّ عن إبراهيم: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (الأنعام، ٨٤)، كلّ تلك الذريّة الصالحة منذ نزول إبراهيم عليه السلام كانت ثمرة إحسان.

حينما تقرأ وردك القرآنيّ فتّش عن قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}، دع قلبك يغار من هؤلاء الّذين ينافسون على مرتبة الإحسان وكن منهم،

ولذلك كان الإحسان هو أعظم وأقصر قصير إلى ثواب الله عزّ وجلّ، يقول الله عزّ وجلّ: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (هود، ١١٥)، ويقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (الكهف، ٣٠)،

[٢٤] أخرجه البيهقي في شعب الايمان ، وقال الالباني : حسن]

وهذا الإحسان زيادة في الفضل من الله، والخير والإكرام لصاحبها، يقول الله عزّ وجلّ: {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة، ٥٨)،

هذه يا إخوة بشائر لمن اختار أن يعيش حياته وهو محسن في كلّ شيء، ألّا يعطي شيئًا عاديًّا، أن يكون محبًّا للإحسان لا لأجل أن يتكلّم الناس عنه، بل يبتغي بذلك وجه الله عزّ وجلّ، وكل من اتّبع هذا الطريق نال رضا الرحمن، يقول الله عزّ وجلّ: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ "وهذي مراتب علّية" وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ وَرَضُوا عَنْهُ} (التوبة، ١٠٠)، -نسأل الله أن يجعلني وإيّاكم منهم- السابقون والأنصار مراتبهم عالية عليّة، ومن رحمة الله أن الآية لم تقف عندهم، بل أتبعها الله عزّ وجلّ بقوله والّذين اتبعوهم بإحسان، الّذين جاؤوا بعدهم بقرون، وأحسنوا ونهلوا من المصدر نفسه، يقول الله عزّ وجلّ في الثواب الأخير عن الإحسان: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} (يونس، ٢٦)، وقال الله عزّ وجلّ: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} (المائدة، ٨٥)،

لكلّ من أحسن عمله فليبشر بهذه الفضائل من عند الله عزّ وجلّ،

أسأل الله أن يجعلني وإيّاكم من المحسنين، وأن يأجرنا أجر المحسنين، وأن يصلنا ما أوصل إليه المحسنين، وأن يجعلنا وإياكم ووالدينا في منازل الفردوس الأعلى.

هذا والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها